

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٣٤٨ : خ ١ - تفسير سورة العصر ( لماذا أقسم بالزمن؟ ) ، خ ٢ - مرض المنغوليا.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩١-٠٥-٣١

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلتي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً لرُبوبيّته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيّدنا محمّداً صلى الله عليه وسلّم رسول الله سيّد الخلق والبشر ، ما اتّصلت عين بنظر ، أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريّته ومن والاه ، ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كلّ شيءٍ قدير ، اللهم علّمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علّمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحقّ حقاً وارزقنا اتّباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممّن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

### سورة العصر :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ انطلقاً من أنّه لا كلام يعلّو على كلام الله ، ولا عمل أفضل من فهم كلام الله ، ولا سلوك أقوم من تطبيق كلام الله ، انطلقاً من هذا ؛ سورة قصيرة يقرؤها معظم الناس في صلواتهم ، وقالوا : شدّة القرب حجاب ، ربّما كانت أكثر السور قراءة أبعدّها عن فهم الناس لها ، السورة سورة العصر . ربّنا سبحانه وتعالى يقول :

### ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾

[ سورة العصر : ١ ]

الواو واو قسم ، أيقسم الله بالعصر ؟ ما العصر ؟ هو الزمن ، لماذا أقسم بالزمن ؟ وما علاقة هذا الزمن بجواب القسم ؟ قال تعالى :

### ﴿ وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[ سورة العصر : ١-٢ ]

ما الذي يخسره الإنسان ؟ ما تعريف الخسارة في علم التجارة ؟ الخسارة نقص رأس مال الإنسان ؟ الإنسان بضعة أيام ، الإنسان زمن ، فإذا نقص الزمن من دون زيادة في مجال آخر ، فهذه خسارة .

أيها الأخوة الأكارم ؛ في حياة الإنسان حياتان ؛ حياةً اختبائيةً ، وحياةً جزائيةً ، حياةً دنيا ، وحياةً عليا ، حياةً عمل ، وحياةً جزاء ، حياةً تكليف ، وحياةً تشريف ، هناك حياتان ؛ حياةً محدودة ، وحياةً لا نهائيةً ، حياةً مشحونةً بالمتاعب ، وحياةً مشحونةً بالبرغائب ، الحياة الثانية تحددها الحياة الأولى ، الحياة الأبدية ؛ حياة الجزاء ، وحياة التشريف ، وحياة الخلود ، وحياة الأبد ، تحددها الحياة الدنيا ، الحياة المحدودة ، حياة التكليف والعمل ، حياة الكسب ، حياة الاختيار ، إذا رأس مال الإنسان الذي يُحدِّدُ ربحه في الحياة الثانية هي الحياة الدنيا ، إذا أثنى ما في حياة الإنسان هو الزمن لأنه زمن ، ولأنه بضعة أيام ، ولأنه بضعة سنين ، ولأنه بضعة سنين مع بضعة أشهر ، مع بضعة أسابيع ، مع بضعة أيام ، مع بضعة دقائق ، مع بضعة ثواني ، رأس مال الإنسان إما أن نستهلكه ، وإما أن نستثمره ، وربنا عز وجل يقول :

### ﴿وَالْعَصْرِ﴾

[سورة العصر: 1]

هو يُقسَم ، والإنسان أيها الأخوة يُقسَمُ بِعَظِيمٍ ، فهل هناك أعظم من الله عز وجل؟ قال بعض العلماء : إذا أقسم الله بشيءٍ فبالنسبة إلينا ، وإذا لم يُقسَمِ فبالنسبة إليه ، قال تعالى :

### ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾

[سورة الواقعة : ٧٥]

مواقع النجوم ، بعض مواقع النجوم التي عُرِفَتْ حتى الآن سِتَّةَ عشرَ ألفَ مليون سنة ضوئيةً ، مع أن أربع سنواتٍ ضوئيةٍ تحتاج إلى أن تقطعها في مركبةٍ تستعملها في الدنيا إلى خمسين مليون عامًا ، الأربع سنوات خمسون مليون ، الستة عشر ألف مليون !! ربنا عز وجل قال :

### ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾

[سورة الواقعة : ٧٥]

وقال تعالى :

### ﴿وَالْعَصْرِ﴾

[سورة العصر: 1]

أقسم بالعصر ، فإذا أقسم ربنا سبحانه وتعالى فبالنسبة إلينا ، لأنَّ أخطر شيءٍ بالنسبة إلينا هو الوقت ، كيف نمضي الوقت ؟ إما أن نستهلكه ، وإما أن نستثمره ، لو أنك لا تملك إلا مئة ألف ليرة ، فإن أنفقتَ منها تستهلكها ، أنت في خسارة ، لا بدّ من أن يأتي يومٌ تنفقُ المالَ كلّه وتبقى بلا مال ، لكنك إذا دفعتها استثمارًا ، وأنفقتَ من ريعها فأنت في ربحٍ ، فهذا الوقت الذي نعيشه أخطرُ ما في حياتنا ، كيف نستهلكه ؟ وكيف نمضي أوقاتنا ؟ كيف نمضي أوقات فراغنا ؟ كيف نمضي أوقات العمل ؟ ماذا نعمل ؟ والعصر ؟ إذا يقسم الله بأخطر ما في حياتنا ، يُقسَمُ بالزمن بل بمُطلقِ الزمن .

## الحياة الدنيا رأس مال كل إنسان :

والزَّمن كما قال بعض العلماء هو البُعد الرابع للأشياء ، النقطة لا كتلة لها ، إذا تحركت رسمت خطاً ، فإذا تحرك الخط رسم سطحاً ، فإذا تحرك السطح رسم حجماً ، فإذا تحرك الحجم صار زمناً ، الزَّمن بُعدٌ رابعٌ للأشياء ، الزمن متعلق بالحركة ، ونحن نتحرك ، الأرض تتحرك حول نفسها ، وحول الشمس ، والشمس تجري لمستقر لها ، المستقر نهاية الزمن ، حينما تنتهي حركة الأفلاك ، قال تعالى :

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ \* وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ \* وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ \* وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ \* وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ \* وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾

[سورة التكويد : ١-٦]

إذا توقفت حركة الكون توقف الزمن ، وبدأت الحياة الآخرة ، لها طبيعة خاصة ، لها قوانين خاصة ، ربما كانت قوانين الآخرة لا علاقة لها إطلاقاً بقوانين الأرض ، حياة كلها سعادة ، أعني الجنة ، حياة كلها راحة ، لا قلق ، لا خوف ، لا تناقص ، لا شيء يبعث في النفس الألم . فيا أيها الأخوة المؤمنون ؛ قال تعالى :

### ﴿وَالْعَصْرِ﴾

[سورة العصر : ١]

الله سبحانه وتعالى يُقسم بأخطر ما نملكه ، التاجر ؛ ما هو أخطر شيء يملكه ؟ رأسُ ماله ، ما قيمة عقله وذكائه إن لم يكن معه مالٌ يشتري به ؟ ما قيمة متجره إن لم يكن له رأسُ مال ؟ رأسُ مال التاجر أخطر شيء في تجارته ، وأنت في تجارة ، والدليل أن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾

[سورة الصف : ١٠]

إذا أنست تاجر ، رأس مالك هذه الحياة الدنيا ، إن أنفقتها استثمرت الثمن سعادة أبدية إلى أبد الأبد ، لذلك ربنا سبحانه وتعالى حينما تحدث عن المنافقين قال :

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾

[سورة البقرة : ١٦]

لقد خسروا .

## مفهوم الخسارة :

مفهوم الخسارة ؛ الخسارة مؤلمة جداً ، وأسألوا من خسر ، الخسارة ولو خسارة المال مؤلمة جداً ، فكيف إذا خسر الإنسان كل شيء ؟! قد يخسر الإنسان متجره ، ويبقى بيته ، قد يخسر أحد أولاده ويبقى الآخر ، قد يخسر جانباً من أعضائه ويبقى عضو آخر ، أما إذا خسر كل شيء ! لذلك قال الله عز وجل :

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

[سورة الكهف: ١٠٣-١٠٤]

هؤلاء الذين يستهلكون أوقاتهم استهلاكاً رخيصاً ، من دون أن يُوظّفوه لربح أكيدٍ محققٍ عند الله عز وجل ، هؤلاء الذين خسروا أنفسهم ، وخسروا كلّ شيء .

### الإِنْسَانُ مَعَ مُضِيِّ الْأَزْمَانِ فِي خَسَارَةٍ مُحَقَّقَةٍ :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ قال تعالى :

﴿وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾

[سورة العصر: ١-٢]

أيّ إنسان ؟ قال العلماء : حيثما وردت كلمة إنسان معرفة بـ (الـ) فتعني مطلق الإنسان ، أيّ إنسان كنت ، أيّ إنسان ؛ متعلّم أو غير متعلّم ، غنيّ أم فقير ، قويّ أو ضعيف ، صحيح أو مريض ، وسيم أو دميم ، أيّ إنسان ما دام يحيا من يومٍ إلى آخر ، ومن أسبوعٍ إلى آخر ، ومن شهرٍ إلى آخر ، ومن سنةٍ إلى أخرى ، مادام الزّمن يسير ، وليس في إمكانه أن يوقفه ، ما دام الزمن يسير وليس في إمكانه أن يوقفه ، ولا أن يستثمره فهو في خسارة ، قال تعالى :

﴿وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾

[سورة العصر: ١-٢]

هؤلاء الذين ركنوا في الحياة الدنيا ، وهؤلاء الذين أعجبهم أن يستمتعوا بها ، وهؤلاء الذين أعرضوا عن الله ، أعرضوا عن منهجه ، أعرضوا عن كتابه ، أعرضوا عن التقرب إليه ، أعرضوا عن أداء العبادات ، هؤلاء الذين أهملتهم الدنيا ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هِمَّةً جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هِمَّةً جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قَدَّرَ لَهُ ))

[الترمذي عن أنس بن مالك]

إذا الإنسان لمجرد أنّه إنسان ، ولمجرد أنّه ينتمي إلى بني البشر ، الإنسان مع مُضِيِّ الْأَزْمَانِ فِي خَسَارَةٍ مُحَقَّقَةٍ ، قال تعالى :

﴿وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾

[سورة العصر: ١-٢]

لأنّ مُضِيَ الزّمن يعني استهلاك رأس ماله ، مُضِيَ الزّمن يعني أنّه يستهلك رأس ماله ، مُضِيَ الزّمن يعني أنّه يتلاشى شيئاً فشيئاً إلى أن تأتي ساعة الصّفر ، فيذهب إلى الآخرة وهو صفر اليدين ، قال تعالى :

## ﴿ وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِيَّا ﴾

[سورة العصر: ١-٣]

### كيفية النجاة من الخسارة المحققة التي يصاب بها الإنسان :

ما الذي يُنجيك من هذه الخسارة المحققة ؟ ما الذي ينجيك من أن تستهلك رأس مالك الأساسي ،  
ما الذي يُنجيك من أن تكون حياتك خسارة في خسارة ؟ قال الله عز وجل:

#### ﴿ إِيَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

هل أنفقت هذا الوقت الذي هو رأس مالك في نشاطٍ إيماني ؟ في تعلم ؟ في تفكير ؟ في تأمل ؟  
في مدارسٍ ؟ في حضور مجالس العلم ؟ في قراءة كتابٍ نافع ؟ في تلاوة القرآن ؟ في فهم كلام  
النبي عليه الصلاة والسلام ؟ هذا الوقت الذي هو رأس مالك هل استهلكته استهلاكاً يتعلق  
بالإيمان ؟ هذا الذي يقول : أنا ليس عندي وقت فارغ لحضور مجالس العلم ! والله الذي لا إله إلا  
هو لو تذكر هذه الكلمة يوم يأتيه ملك الموت لتمنى أن يُقطع إرباً إرباً ، ليس عندك وقت لمعرفة  
الله ، عندك وقت لأي شيء ؟ ليس عندك وقت لمعرفة الله ؟ عندك وقت للقليل والقال ، لسقاسف  
الأمر ، للانغماس في الملذات ، للانكباب على الدنيا ، لجمع الدرهم والدينار ؟ إن لم يكن عندك  
وقت لمعرفة ربك ، ولمعرفة كلامه ، فأبى وقت آخر له قيمة ؟ إذا جاء الطبيب ، وهو يحمل أعلى  
درجة علمية من الغرب ، وفتح عيادة ، وكتب الدوام من الساعة الخامسة وحتى الساعة السابعة ،  
وهو في أمس الحاجة إلى من يأتيه كي يُعالجه ، ويقبض الثمن ، فإذا جاءه مريض ، وقال له  
الطبيب : والله ليس عندي وقت لمعالجتك !! ما هذا الكلام ؟ ما دمت قد فتحت هذه العيادة ، وقد  
أهلت نفسك بهذه الدرجة العلمية العالية ، فإذا جاءك المريض في الوقت المناسب ، تقول له :  
ليس عندي وقت ! هذا يشبه من يقول : ليس عندي وقت لحضور مجالس العلم ! عندك وقت  
لتمضية في القيل والقال وفي الغيبة والنميمة ، وفي انتهاك حرّامات الله ، وفي متابعة أعمال لا  
ترضي الله ؟

أيها الأخوة الأكارم ؛ لمجرد أنك إنسان ، وأنت غافل عن الواحد الديان ، ولمجرد أن الزمن  
يسير فأنت في خسارة محققة ، واسأل أهل التجارة كم هو شعورهم إذا هم خسروا ؟ هناك من  
يقول : أنا خسرت إذا قلّ ربحي ، يعدّ بعض التجار خسارة إذا نزل ربحه عن الحد الذي يطمح  
إليه ، فكيف إذا فقد بعض رأس ماله ؟! يُقيم الدنيا ولا يُعدها ، فكيف إذا خسر رأس ماله كله ؟  
فكيف إذا خسر حياته ؟ فكيف إذا خسر كل شيء ؟ قال تعالى :

#### ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾

[سورة الزمر : ١٥]

قال تعالى :

## ﴿ وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِيَّا ﴾

[سورة العصر: ١-٣]

أربعة أشياء أيها الأخوة الأكارم تُنجي الإنسان من الخسارة ؛ أن يبذل جهدًا حقيقيًا في معرفة الله ، ومعرفة أمره ، ومعرفة أحكامه التشريعية ، ومعرفة سنة رسوله ، ومعرفة سيرة رسوله ، ومعرفة هؤلاء القادة العظام من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، لا بدّ من نشاطٍ إيماني ، ولا بدّ من مشربٍ تشربٍ منه ، ولا بدّ من منهلٍ تنهلُ منه ، ولا بدّ من جلسة إيمانٍ تجلسها مع من تنقُبُ بعلمه ، لا بدّ من ساعةٍ تمضيها في معرفة الله تعالى ، قال تعالى :

### ﴿إِيَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

هناك إيمانٌ بالسماع ، هناك إيمانٌ بالتأمل ، هناك إيمانٌ بالتفكير ، هناك إيمانٌ بالمطالعة ، لا بدّ أن تبذلَ جهدًا في معرفة الله تعالى ، وفي معرفة أمره ، إلا الذين آمنوا .

## ترجمة الإيمان إلى عمل :

واعلم علم اليقين أيها الأخ الكريم أن العلم في الإسلام وسيلة ، وليس غاية ، وشرطٌ لازمٌ غير كافٍ ، ما قيمة العلم إن لم يدعم بالعمل ؟ قال تعالى :

### ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾

[سورة الأنفال : ٧٢]

لا بدّ من أن يترجم الإيمان إلى عمل ، لذلك في أكثر من ثلاثمئة آية في القرآن الكريم قرن ربنا عز وجل الإيمان مع العمل الصالح ، قال تعالى :

### ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾

[سورة الكهف : ١٠٧]

قال تعالى :

### ﴿ وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِيَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

[سورة العصر: ١-٣]

من العمل الصالح أن تلتزم الأمر والنهي ، أن يجِدك الله عند الأمر ، وأن يفتقدك عند النهي ، ومن العمل الصالح أن توقع أعمالك كلها وفق أحكام الشريعة ، من العمل الصالح أن تسأل دائمًا ما حُكّم هذا التصرف ؟ وما حكم هذه الصفة ؟ وما حكم هذا الشراء ؟ وما حكم هذا المبيع ؟ وما حكم هذا اللقاء ؟ وما حكم هذه النزهة ؟ وما حكم هذه الحفلة ؟ المؤمن الذي يحرصُ على مرضاة ربّه يسعى جاهدًا لتوقيع سلوكه وفق شرع ربّه ، هذه الاستقامة ، قال تعالى :

### ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾

[سورة فصلت : ٣٠]

شيبنتي هود كما قال عليه الصلاة والسلام ، آية هودٍ هذه ؟ سورة هود ، ولماذا ؟ لأنّ فيها آيةٌ واحدة ، وهي قوله تعالى :

## ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾

[سورة هود : ١١٢]

إذا الإيمان يمكن أن يكون عن طريق التّفكّر في خلق السموات والأرض ، وهو أوسعُ باب ، وأقصرُ طريق ، ويمكن أن يكون عن طريق سماع القرآن ، وفهم القرآن ، وتدبّر القرآن ، ومُدّارسة القرآن ، ويمكن أن يكون عن طريق معرفة أمر الله ونهيه ، أما العمل الصالح فهو أن تجعل من حركتك اليوميّة تجسيدًا لإيمانك ، أن تجعل من حركتك اليوميّة ، من علاقاتك، من كلّ نشاطاتك تجسيدًا لإيمانك ، الإيمان بلا عمل كالشجر بلا ثمر .

## الدين النصيحة :

ثم قال تعالى :

﴿ وَالْعَصْرُ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾

[سورة العصر: ١-٣]

الأب مع أولاده ، والأم مع أولادها ، والأخ مع أخيه ، والجار مع جاره ، والزميل مع زميله ، لا بدّ من أن تفيض ، ولا بدّ من أن تمتلئ ثم تفيض ، تفيض علمًا على الآخرين ، تفيض خلقًا وأدبًا ، حتى يتسع الحق ، حتى تتسع دائرة الحق ، قال تعالى :

﴿وتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾

[سورة العصر: ٣]

الدين النصيحة ، لله ولرسوله ، ولكتابه ، ولأئمة المسلمين ، ولعامتهم ، لا بدّ من أن تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، لا بدّ من أن تلفت النظر إلى الله عز وجل ، لا بدّ من أن تذكر آياته الكونيّة ، آياته القرآنيّة ، سنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، سيرة نبيه عليه الصلاة والسلام لا بدّ من أن تجعل من لقاءاتك ، ومن أحاديثك ، ومن أحزانك ، ومن أفراحك مناسبةً لتذكير الناس بربّهم ، وبشرعهم ، وبآخرتهم ، وبما يصلحهم ، وبما يسعدهم .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ أنا لا أتصوّرُ أبدًا مؤمنًا يسعى لكمال إيمانه يُطبق لسانه كليًا عن تذكير الناس بالحق ، أولاده أمانة في عنقه ، بناته أمانة في عنقه ، جيرانه أمانة في عنقه ، لا أتصوّرُ أبدًا إنسانًا يمتلئ إيمانًا ، ويصنّ بهذا الإيمان عن الآخرين ، لا أتصوّرُ أبدًا إنسانًا يمتلئ يقينًا ، ولا يشيعُ هذا اليقين في الآخرين ؛ فقد روى أبو داود عن سهل بن سعدٍ عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((وَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِهَذَاكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ))

[أبو داود عن سهل بن سعد]

كلام سيّد الخلق ، وكلام الذي لا ينطق عن الهوى ، كلام المعصوم ، كلام سمّاه بعض علماء الحديث وحيا غير متلوّ ، يا عليّ لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من الدنيا وما فيها ، وخير لك من حُمْرِ النَّعَمِ ، هذا الابن الذي جعله الله من صلّيك ، وجعل حاجته عندك ، لماذا لم تُوجّههُ إلى

الله عز وجل ؟ هذه البنت التي جعل الله مصيرها إليك ، وأمرها إليك ، في زواجها ، وفي حياتها ، وفي علاقاتها ، لماذا لم تستغل أبوتك لإرشادها إلى الله عز وجل ؟ ما هذه الكلمة الجافية التي يقولها بعض الآباء ؛ أنا أحب أن أجعل ابنتي حرة طليقة تحدد مستقبلها بيديها !!؟ هذه قد تسير وفق شهوتها ، فأنت الأب ، وأنت العالم ، وأنت المسؤول ، وأنت الراعي .

### طاعة الله علامة معرفته :

فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه الآية خطيرة جداً ، لا تعفي الإنسان من التواصي بالحق ، لا يكفي أن تؤمن ، هناك أشخاص من بيتهم إلى مسجدهم رائع هذا ، ولكن أهلهم في واد وهم في واد ، لا شيء من الإسلام واضح في بيوتهم ، لا في خروج بناته ، ولا في خروج زوجته ، ولا في علاقاته الأخرى ، أيقول هذا الأب : لا علاقة لي بهذا ؟ من قال لك ذلك ، قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

[سورة التحريم: ٦]

هذا أمر إلهي ؛ يجب أن تقي نفسك وأن تقي أهلك نار جهنم ، والآية الثانية قوله تعالى :

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَّا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾

[سورة طه: ١٣٢]

أن تعرف الله عز وجل لوحدهك ، وأن تقول : لا علاقة لي بالناس ، هذا الكلام غير مقبول في هذه الآية ، قال تعالى :

﴿وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[سورة العصر: ١-٣]

فهنا الإيمان ، بذلت نشاطاً في معرفة الله ، سماع ، أو مدرسة ، أو تدبير ، أو تفكير ، أو تأمل ، أو أي شيء آخر يجعلك تعرف الله عز وجل ، وعلامة معرفة الله طاعته ، فإن لم تطعه فاعتقد اعتقاداً قاطعاً أنك لا تعرفه ، علامة معرفة الله طاعته ، فإذا كان هناك مخالفة ، أو خروج عن طاعته فلتعلم علم اليقين أنك لا تعرفه ، لو عرفته لأطعته ، قال :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمرى في المقال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

\*\*\*

هذا هو الإيمان ، والعمل الصالح ؛ الاستقامة على أمر الله ، ترك ما نهى الله عنه ، وفعل ما أمر الله به ، أن توقع أعمالك كلها وفق أحكام الشريعة أن تبدل من ذات نفسك ، ومن مالك ، ومن وقتك ، ومن جهدك ، ومن خبرتك ، ومن علمك ، ومن كل ما آتاك الله في سبيل التقرب إليه ، هذا هو العمل الصالح .



قال تعالى :

### ﴿وتواصوا بالحق﴾

أين التواصي بالحق ؟ الآن أنت مسؤول عن زوجتك ، وعن بناتك ، وعن أولادك ، في نصحتهم ، وفي إرشادهم ، وعن شريكك ، فقط تریح منه من دون أن ترشده ؟ ومن دون أن تدله على مشرب ديني ؟ وعن جيرانك ، وعن كل من يلوذ بك ، قال تعالى :

### ﴿وتواصوا بالحق﴾

ولكن أيها الأخ الكريم إياك أن تظن أن طريق الإيمان مفروش بالورود ! لا ، فيه العقبات ، هكذا قال عليه الصلاة والسلام :

((من أنظر معسراً أو وضع له ، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله))

[ أحمد و الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً ]

(( ألا إن عمل الجنة حزن بربرة ، ... إن عمل النار سهل بسهولة ))

[ أحمد عن ابن عباس ]

والشيء الحزن هو الأرض الوعرة ، والحزن هو الألم والضيق النفسي ، وكذا الحزن ، أما حزن فتعني أرض وعرة :

(( ألا إن عمل الجنة حزن بربرة ، ... إن عمل النار سهل بسهولة ))

[ أحمد عن ابن عباس ]

إذا إياك أن تظن أن طريق الإيمان طريق مفروش بالورود ، فيه متاعب ، لأن الشيطان ماذا قال :

### ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

[ سورة الأعراف : ١٦ ]

إذا اتبعت هواك فالشيطان مرتاح وبعيد عنك ، أما إذا اتجهت إلى الله عز وجل فيأتي دور الشيطان ليشتكك ، وليخوفك ، وليحذررك ، وليدفعك إلى الجبن ، وليدفعك إلى البخل ، وليوهمك بأنك لن تنال شيئاً من هذا الطريق ، إذا طريق الإيمان فيه وساوس ، وفيه عقبات ، فيه متاعب ، فيه معارضات ، لهذا جاء قوله تعالى :

### ﴿وتواصوا بالصبر﴾

لكن قد يتوهم متوهم أن الصبر متعلق بالتواصي بالحق ؛ لا ، الصبر متعلق بالإيمان والعمل الصالح ، والتواصي بالحق ، للأشياء الثلاثة ، فأنت من أجل أن تؤمن يجب أن تصبر ، ومن

أجل أن تعملَ صالحًا يجب أن تصبر ، ومن أجل أن تتواصى بالحقَّ يجب أن تصبر ، أن تكون في بيتك مرتاحًا مسترخيًا بين أهلك وأولادك .

لتجلس على ركبتيك تحتاج إلى صبر ، قد يكون الوقتُ وقتًا رائجًا لتجارتك وبضاعتك ، أن تغلق محلك التجاري ، وتأتي إلى مجلس العلم هذه تحتاج إلى صبر ، أن تحفظ القرآن شيء يحتاج إلى صبر ، أن تصبر على فهمه ومُدارسته شيء يحتاج إلى صبر، قال تعالى :

### ﴿وتواصوا بالصبر﴾

الصبر على الإيمان ، وعلى العمل الصالح ، وعلى التواصي بالحق ، أي إذا خلا يومك من إيمانٍ ، وعملٍ ، ودعوةٍ ، وصبرٍ ، فهذا يومٌ ضائعٌ من حياتك ، وهذا هو اليوم الذي تخسر فيه رأس مالك ، من هنا قال عليه الصلاة والسلام :

**((إذا أتى عليَّ يومٌ لا أزدادُ فيه علمًا يقربني إلى الله فلا بُورك لي في طلوعِ شمس ذلك اليوم))**

[رواه الطبراني عن عائشة]

الإيمان والعمل ، مع أن الناس تواضعوا على تعظيم أرباب الأموال ، وأرباب الجاه والسلطان ، وأصحاب الأدمغة الكبيرة ، هناك مقاييس يقيسُ الناس بها بعضهم بعضًا ، ولكن الله سبحانه وتعالى اعتمدَ في قرآنه الكريم مقياسين اثنين ؛ الأول : هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ والثاني : ولكلِّ درجاتٍ مما عملوا ، علمٌ وعملٌ ، ودعوةٌ وصبرٌ ، إذا فعلت هذه الأشياء الأربعة فقد نجوت من الخسارة المحققة التي هي من أشدَّ المشاعر النفسية إيلاماً .

## سورة العصر نشاط إيماني و تطبيق عملي و دعوة إلى الله :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ يقولون : شدة القرب حجاب ، والعصر آية يقرؤها معظم الناس في صلواتهم ، وهي من الآيات القصيرة ، قال تعالى :

﴿ وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِذَا الْذِينَ أَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ

﴿ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾

[سورة العصر: ١-٣]

نشاط إيماني ، تطبيق عملي ، دعوة إلى الله بشكلى أو بآخر ، صبرٌ على الإيمان، وعلى العمل الصالح ، وعلى الدعوة إلى الله ، بهذه الأشياء الأربعة تنجو من الخسارة المحققة. حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيخطى غيرنا إلينا فلنخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمانى ، والحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

## الراحة و الطمأنينة و السعادة في طاعة الله :

أيها الأخوة الأكارم ؛ موضوعٌ قصيرٌ جداً ذكرته لكم سابقاً ، ولكن ذكرني به خبر سمعته ، هو أنّ مرضاً خطيراً بدأ يظهرُ في بلاد الغرب غير مرض الإيدز ، إنه مرض المنغوليا ، هذا المرض بسبب زنا المحارم ، كيف أنّ مرضَ الإيدز كان كما قال عليه الصلاة والسلام :

(( ... إِبَا فِشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ ))

[ ابن ماجه عن ابن عمر ]

يُستنبط أنّ بين الطاعة ونتائجها علاقة علمية ، وبين المعصية ونتائجها علاقة علمية ، فحينما يأمرنا الله بشيء ، ففي جوهر هذا الشيء بذور نتائج ، وحين ينهانا عن شيء ففي ضمن هذا الشيء بذور نتائجه ، أي أنّ بين الطاعة ونتائجها علاقة علمية ، أي علاقة سبب بنتيجة ، والعلاقة بين المعصية ونتائجها علاقة علمية ، أي علاقة سبب بنتيجة ، فهذا الكلام يدعو إلى أن تؤمن إيماناً قطعياً أنّ الله عز وجل حينما أمرك لِصَالِحِك ، وحينما نهاك فهو لِصَالِحِك ، فإذا وثقت بعلم الله عز وجل ، ووثقت برحمته ، ووثقت بخيرته ، ولا ينيبك مثل خبير ، إذا وثقت بكلّ ذلك عرفت أنّ الخير كلّهُ ، والسعادة كلّها ، والنجاح كلّهُ ، والفوز كلّهُ ، والتفوق كلّهُ بطاعة الله ، لأنك إذا عصيت الله فقد خالفت تعليمات الصانع الحكيم ، وإذا كنت أنت الآلة ، وأنت الآلة الثمينة ، فمن دواعي الحرص على سلامتها ، وأن تعطي أعلى مردود أن تتبّع نصائح صانعها ، إذا كنّا نحن الآلات المعقّدة الراقية التي صنعها الله عز وجل ، وأتقن صنعهُ فيها فمن دواعي حفاظنا على سلامة هذه الآلة ، ومن دواعي رغبتنا في حُسن مردودها أن نتبّع تعليمات الصانع الحكيم .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ ما من مشكلة يُعاني منها المجتمع البشري على الإطلاق من دون تحفظ ، خطيرة أم حقيرة ، منتشرة أم محدودة ، ما من مشكلة يُعاني منها المجتمع البشري إلا بسبب خروج عن منهج الله ، وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب الجهل ، لذلك يجب أن تعدّ الجهل أعدى أعدائك .

اشترى مُزارعٌ سماداً ، فلم يعبأ بتعليمات الشركة الصانعة ، ضاعف الكمية على النبات رغبةً أن يُثمرَ ثمرًا يانعاً ، مُضاعفة الكمية أحرقت كلّ المحصول ! وخسر ما يزيد عن مئتي ألف ليرة بسبب أنّه ضاعف كمية السماد التي حلّها في الماء ، هذا المزارع ما الذي قضى على كلّ محصوله ؟ جهله ، جهله وعدم اهتمامه بتعليمات الشركة الصانعة ، فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ إذا أحببت نفسك حباً جمّاً ، وإذا انطلقت من رغبة جامحة في الحفاظ على سلامتك ، على وجودك ،

وعلى سلامة وجودك ، وعلى استمرار وجودك ، وعلى كمال وجودك ، فعليك بطاعة الله عز وجل ، ولا تنس قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[سورة الأحزاب : ٧١]

قد يبدو لك في المعصية حرية ، وفيها المتعة ! هذا من وسوسة الشيطان ، فالراحة كلها في الطاعة ، والنظافة كلها في الطاعة ، والطمأنينة كلها في الطاعة ، والسعادة كلها في الطاعة .

#### الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ولا تهلكنا بالسنين ، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

#### والحمد لله رب العالمين